

مخطوطة ابن إسحاق

مدينة الموتى

info@darak-egy.com



02 24832669-010 27251915



51 ب شارع النهضة – من امتداد رمسيس – القاهرة.



جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.



للنشر والتوزيع

مدينة الموتى

حسن الجندي

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغوي: سارة صلاح

رقم الإيداع: 2021/10247

الترقيم الدولي: 1-54-6634-977-978

صدر عام: 2008

طبعة: 2021

حسن الجندي

مخطوطة ابن إسحاق

(الجزء الأول)

مدينة الموتى

رواية



إهداء

إلى روح صديقي الغالي (يوسف)..
غفر الله لك ولأصدقائنا..

مقدمة

ظَلَّ الشاب مغمض العينين وهو يرتجف، ومن جسده تخرج اهتزازات خفيفة دلالة على الخوف، أما من خلفه فقد تحرك ذلك الكائن الغريب وهو يتجه ناحيته.

كان الكائن متوسط الطول لا يرتدي شيئاً تقريباً، ولكن الغريب أن جلده كان مغطىً بالكامل بالشعيرات الطويلة، وفي أعلى رأسه وبين الشعيرات كان هناك قرنان صغيران يخرجان منه.

أما الشاب فكان يرتدي ملابس غريبة بعض الشيء لا تمت لهذا العصر.

ملامح الشاب غريبة، تعطيك انطباعاً من أول مرة أنها ليست ملامح عربية، ربما كانت في وجهه لمحة من الوسامة لا تخفى على أحد، بالرغم من حدة وجهه والتصاق حاجبيه. مشهد غريب جداً، فالشاب يقف في غرفة خالية تماماً، وهناك شمعة صغيرة بجانبه على الأرض، أما الشاب نفسه فقد كان مغمض العينين وقد أعطى ظهره للكائن، فهو لم ينس التحذير الذي سمعه قبل أن يحضر الكائن، يجب عليه أن يُغمض عينيه ولا ينظر خلفه أبداً في فترة حضور ذلك الكائن.

كان الحوار يجري بينهما بلغة غريبة تشبه العربية، أعتقد أنها الفارسية.

- ماذا تريد أيها الطفل؟!

انطلقت تلك العبارة من الكائن، انطلقت بنبرات خافتة جعلت الخوف يسري في جسد الشاب الذي ردَّ بنبرات مرتعشة:
- أريد القوة، القوة المطلقة والأمان باقي حياتي.

اقترب الكائن من الشاب أكثر حتى أصبح على مسافة سنتيمترات منه، ثم اقترب برأسه من أذنه وقال:
- إذا أردت القوة سنعطيك بعضها، ولكن إذا أردت السيطرة فيجب عليك تقديم قرابين من البشر!

قال الشاب وهو يرتجف:

- أوافق!

فقال الكائن:

- إذا أدرك وجهك لي ولا تفتح عينيك، ونفد كل ما أقوله لك.

(1)

مخطوطات وأشياء أخرى

التفت (يوسف) إلى صديقه قائلاً:

- ما رأيك في سور الأزبكية؟

- مملٌ لدرجة رهيبة، ماذا أستفيد من بعض الأكشاك التي

تبيع كتبًا قديمة لا تساوي شيئاً؟

- لكن انظر إلى تلك الجنة، كل ما تحتاجه من الكتب

القديمة ذات الورق الأصفر العتيق والغلاف السميك الذي

يُشعرك بأنك تُمسك التاريخ نفسه بين يديك.

لقد كانت تلك هي الزيارة الأولى لـ (يوسف) إلى سور

الأزبكية، كان يسمع عنه قديماً ورسم له في مخيلته أنه سور

طويل والباعة يفتشون الكتب على الأرض، لكنه صُدمَ من تلك

الطريقة الغريبة في رصّ الأكشاك الخشبية بجانب بعضها البعض،

التي تُشعره أنه ذاهب إلى السوق ليشتري خضاراً أو فاكهة،

ولكنه استمتع برؤية كل تلك الكتب التي كان يحلم باقتنائها،

فقد تربّى على مجلات مثل (ميكي) و(سمير)، وعندما زاد عمره

قرأ روايات رومانسية وبوليسية وبعض روايات الرعب، ولكنه

شعر بأنه يجب أن يقرأ كتبًا كبيرة الحجم ثقيلة الوزن، فربما أعطته تلك الكتب العلم الوفير الذي يحلم به.

- تفضّل يا سيدي، ستجد عندي ما تريده.

جاءت تلك الجملة من أحد باعة الأكشاك لـ (يوسف)، ولأنه لم يكن معتاداً على تلك الطريقة من الباعة فقد اعتبر تلك العبارة مودة زائدة، لكنه اتجه لصاحب الكشك.

- تحت أمرك.

- أريد كتاباً قديماً.

- ما اسمه؟

- لا أعرف!!

- ماذا؟!!

- أريد أيّ كتابٍ قديم يتحدث عن شيء مهمّ.

وبالطبع لم يتمالك البائع نفسه من الضحك حتى احمرّ وجهه (يوسف) خجلاً.

- عندما تعرف ما تريد فأنا تحت أمرك.

فذهب (يوسف) إلى كشك آخر ينظر داخله، ليرى خليطاً غريباً من كتب دينية، وكتب فضائح، وكتب سياسية، وكتب جنسية، ومجلات أجنبية وعربية، ولكنه شعر بخيبة الأمل، فقد بدأ يُدرِك أنه لا يعرف ماذا يريد من البداية، وأنه لن يرى ما يريد، بل هو يسير هو وصديقه لينظر إلى الكتب بانبهار ويبحث عن الكتب القديمة، التي يعرف في داخل نفسه أنه لن يشتريها.

- لقد تعبت من المشي، هيّا بنا نستريح على ذلك المقعد الحديدي.

كانت تلك العبارة من صديق (يوسف).

فأجابه:

- كشك أو ائنان ونعود للمترو مرة أخرى.

وهنا رأى (يوسف) رجلاً عجوزاً يجلس داخل كشك - أمام المقعد الحديدي - على الأرض، فجذبه المنظر ودخل إلى ذلك الكشك.

- السلام عليكم يا حاج.

نظر العجوز ببطءٍ إلى (يوسف) لتظهر أن عين الرجل اليسرى بيضاء تمامًا ووجهه مليء بالتجاعيد.

- وعليكم السلام يا بني.

- هل تبيع كتبًا قديمة يا حاج؟

ضحك العجوز بطيبة وقال:

- يا بني أنا لا أملك غير الكتب القديمة، ابحث في الكتب التي على الأرفف واختر منها ما شئت.

فرح (يوسف) بهذا العرض الذي سيجعله يرى أسماء الكتب بدون أن يدفع مليماً واحداً، ناهيك عن أن هذا كان أول عرض يتلقاه بأن يبحث بنفسه، وبالفعل بدأ البحث ورأى الكثير من الأسماء.

(حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)

(مذبحة القلعة برؤية جديدة)

(نظم الملك)

(العرائس)

(تهافت التهافت)

(انهيار دولة البطالسة)

ولكنه جاء إلى مجموعة كتب بعينها تم ربطها بحبلٍ غليظٍ،
يدل أثر الحبل على غلاف الكتاب أنه مربوط منذ مدة، فك
الحبل وبدأ في قراءة أسماء تلك الكتب باستغراب!!

(الهيكل السبع للحكيم المزود بن الرملي)

(الدر والترياق للغزالي السوداني)

(الأجناس لأصف بن برخيا)

(حرب الجان للقاضي عبد الجبار المعتزلي)

(شمس المعارف الكبرى لأحمد بن البوني)

(الأربعون الإدريسية)

(المفتاح الكبير لسليمان)

(الدر المنظم في السر الأعظم لمحمل القيرواني)

(النور المبين في تحضير القرين)

لا يعلم (يوسف) لم افسحراً من أسماء تلك الكتب! ربما من
لملمسها؟ لا يعرف لكنه رأى كتاباً شداً انتباهه، في الواقع لم يكن
كتاباً بالمعنى الحرفي، بل هو سبعُ ورقات من الحجم الكبير،
وهناك خيط يجمعها من جانبها الأيمن كي لا ينفك الورق،

ولكن ما شدّه أكثر هو ملمس الورق، فقد كان ورقًا خشنًا
وسميًا وقد كُتِبَ في أول ورقة من الأعلى بخط يدوي:

(عن رواية الرحالة أحمد بن إسحاق البغدادي)

فنظر (يوسف) لصاحبه وقال:

- ما رأيك بهذا الورق؟!

- بالتأكيد هذا الورق يتحدث عن هراء من شاكلة ابن
فلان قابل ابن علان يوم كذا وكذا، وقد أمر الوالي بذبحهما
بعد خيانتهم له، صدقني لن تحب هذا الهراء، ستجد مثله
كثيرًا في كتب تاريخ الثانوية العامة التي درسناها.

- ولكن يبدو من ملمس الورق أنه قديم، ربما كان نادرًا
كذلك، وبالتالي سعره سيكون مرتفعًا ولن أشتريه بالتأكيد،
دعني أسأل عن سعره من باب الفضول لا أكثر.

- بكم ذلك الكتاب يا حاج؟

ولوح (يوسف) بالورقات ناحية العجوز ليراه، ولكن
العجوز ردّ بسرعة:

- عشرة جنيهاً.

- ماذا؟!!

- عشرة جنيهاً يا بني، أي كتاب عندك بعشرة جنيهاً.

هنا نظر (يوسف) لصاحبه بدهشة ثم قال:

- سأشتري هذا الورق.

كاد صاحبه يموت من الغيظ، وكاد يعترض إلا أنه أخرسه

بأن أخرج من جيبه عشرة جنيهاً ليعطيها للرجل، وقربها من يده دون كلام، ولكن الرجل لم يتحرك وكأنه لا يراه، فنادى (يوسف) على الرجل:

- يا حاج، تفضل النقود.

وهنا رفع العجوز يده المعروقة ملوحًا بها في الهواء باحثًا عن النقود قائلاً:

- سامحني يا بني، لأنني لا أرى جيداً بعيني الوحيدة، فأنت تعرف أحكام السن.

أدرك هنا لم لم ينتبه العجوز للورق الذي يحمله، فرمى كانت قيمته أكثر من عشرة جنيهاً، ولكن ضعف نظر العجوز جعله لا يلاحظ ما أخذه، لقد عقد صفقة رابحة للغاية.

ظلاً (يوسف) جالساً أمام شاشة الكمبيوتر كعادته في إجازة نصف العام التي قاربت على الانتهاء، يتابع المنتديات وبريده الإلكتروني بملل، ولكن قبل الفجر بما يقرب من الساعة دخل شخص يطلب الحديث مع (يوسف) على إيميله الخاص به، كان صاحبه الذي رافقه منذ أيام في سور الأزبكية.

- كيف حالك؟

- الحمد لله.

- لم أرك منذ زمن.

- زمن! لقد كنت معك أول أمس في سور الأزبكية، يوم ابتعت الورق الغريب، ما رأيك فيه؟

- لم أقرأه بعد، ولكنني سأقرأه قريبًا.

وسارت المحادثة بينهما بعد ذلك بشكل عادي قرابة نصف الساعة حتى انتهت، ولكن (يوسف) شعر أنه لكي يُرضي ضميره على الجنيئات العشرة التي دفعها في الورق، فيجب عليه قراءته، لذلك قام ليحضره ووضعه أمامه.

سبع ورقات من الحجم الكبير، والكثير من الكلام مطموس، بل وفي بعض المواضع تداخلت بعض العبارات البسيطة على بعضها، ولكن بشيء من العُسر يمكن تبينُ كنه الكلمات .

(عن رواية الرحالة أحمد بن إسحاق البغدادي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

بسم الله الرحمن الرحيم الغفور الحليم خالق الجبال وقاهر الجبابرة مالك السموات والأرض رافع السموات بغير أعمدة، وفقنا الله يوم النفخ في الصور ويوم العرض عليه، وأدخَلْنَا جنته وحفظنا من ناره، كتب سيدي وشيخي العلامة ابن إسحاق في كتابه كنز الرحلة بعنوان مدينة الموتى في فصل رحلته إلى مصر * أنه سار من إحدى قرى الصعيد حتى أهلكه التعب فرأى على مرمى البصر سورًا طويلًا يتوسطه باب عظيم، فاقترب منه، فرأى على السور نقش كلمات كأروع ما يكون، تقول * يا معشر الإنس والجن لا تقربوا هذه البلدة فإن أهلها نيام حتى تقوم الساعة، فإذا دخلتم اليوم فليرحمكم الله، وإذا لم تدخلوا لا تذكروا موضعها حتى لا يراها غيركم، ولكم يوم الحساب جزاء على أفعالكم وسيسألکم الله جل

وعلا كيف حفظتم سر هذه البلدة * فلم يتمالك ابن إسحاق نفسه فربط ناقته عند السور ودخل من الباب الحديدي وسار وحيدًا * فكانت البلدة كأحد أحياء القاهرة، ولكن العجب كأنها بلا بشر، فالحوانيت مفتوحة وجاهزة لعرض بضاعتها ولكن لا بشر سوى ابن إسحاق * فسار حتى خرج عليه من أحد الحوانيت رجل أسود اللحية عظيم الشحم أبيض البشرة يقبض بيده اليمنى على عصا كبيرة * اقترب الرجل من ابن إسحاق ودعاه لأن يستريح في بيته، وقال بأنه لِحَاد البلدة وأنه يكنى بمحمد السالمي * وحدثه اللحاد أن مرضًا غريبًا اجتاح البلدة فمات كل من فيها * فدخل ابن إسحاق بيت الرجل * وسأله عما حدث للبلدة، فقص الرجل على شيخنا قصة عجيبة * منذ سنين طويلة كانت البلدة مزدهرة ومليئة بالتجار من كل البلاد وكل الأجناس، حتى جاء فتى من بلاد الفرس يدعى الحي بن القصاب، وكان يفعل العجائب، فكان يجري على الماء ويطير فوق الأرض ويقول كلمات فيتحول الماء إلى عسل * وإذا لمس جدارًا أو بيتًا تصاعد من حوله صوت قوي ثم يتحول البيت إلى ذرات وفتات * ثم أعلن الفتى عن أنه في مقدوره أن يُحول الفقراء إلى أغنياء، وأنه يحتاج إلى أربعة من البشر ليثبت صدقه * فتقدم إليه أحمد بن يزيد صانع السجاد ويوسف العطار وأحمد بن إبراهيم بن محمد، وشاب فقير يدعى إسماعيل الحلاج، واجتمع بهم الفتى الفارسي في بيته الذي اشتراه عند وصوله البلدة * وقضوا الليل عنده، وفي الفجر خرج من البيت الأربعة فقراء، ولم يخرج الساحر ولم